غزوة بنى قريظة

كان غدر بنى قريظة هو الثغرة
التى أتى منها المسلمون

ليس من شك فى أن العناية الإلٰهية هى التى أنقذت المسلمين فى غزوة الأحزاب، وأنه لولا هذه العناية لكان فَناء المسلمين أمرًا واقعًا لا محالة، وكان مصير الدعوة الإسلامية إلى زوال لا شك فيه، وهذا ما كان يخشاه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو يدعو ربه مستغيثًا به إذ يقول: «اللهم إنك إن تشأ لا تُعْبَد». نعم، فلو شاء الله أن ينهزم المسلمون فى هذه الغزوة لانتهى أمر الإسلام إلى الزوال، ولفَنِيت هذه الفئة القليلة التى كانت توحد الله وتقيم دينه فى الأرض.

وليس من شك فى أن غدر بنى قريظة كان هو الثغرة الوحيدة التى أُتى منها المسلمون، والتى لولاها لما استطاع المشركون أن يجدوا إلى المسلمين سبيلا؛ فقد وقفوا أمام الخندق طويلا، وطافوا به كثيرًا، وحاولوا غير مرة أن يجدوا

obeikandl.com

فيه منفذًا ينفذون منه إلى المسلمين، ولكن المسلمين كانوا من اليقظة والتمكن بحيث استطاعوا أن يسدوا عليهم كل ثغرة، وأن يردوا إليهم كل محاولة.

ولقد كان من الجائز أن يسأم المشركون هذه الحالة، وأن يملوا الوقوف أمام هذا الخندق، وأن يتملكهم اليأس من الوصول إلى معسكر المسلمين، بعد ما حاولوا وحاولوا فلم يستطيعوا؛ وكان من الجائز أن يدفعهم اليأس والملل إلى الرجوع إلى ديارهم، دون أن ينالوا أربًا مما كانوا يريدون بالمسلمين، لكن دخول بنى قريظة فى زمرة الأحزاب، ونقضهم العهد مع المسلمين، كان - ولا شك - هو السبب الذى أعاد الأمل قويًا إلى نفوس المشركين، فعلت به روحهم المعنوية، وازداد نشاطهم، واشتد ضغطهم على معسكر المسلمين حتى أرهقوهم؛ وكان هو العامل الأكبر فيما أصاب المسلمين من زلزلة وخوف، وما حدث فى صفوفهم من خلخلة واضطراب، وما جعل المنافقين والذين فى قلوبهم مرض ينتهزونها فرصة، فيخذلون بين الناس؛ ويُشيعون اليأس فى القلوب، ويقولون كما حكى الله عنهم: ﴿ما وَعَدنَا الله ورسولُه إلا غرورًا﴾، ويتداعَوْن إلى الفرار قائلين: ﴿ياأهل يثربَ لا مُقامَ لكم فارجعوا؛ ويستأذِن فريقٌ منهم النبىَّ، يقولون إن بيوتَنا عَوْرةٌ وما هى بعَوْرة إنْ يريدون إلا فرارًا﴾.

وإن ما وصف القرآن من حال المؤمنين فى هذا الظرف العصيب، ليصور بوضوح قوة الهجوم الكاسح من جانب الأحزاب على معسكر المسلمين، إذ جاءوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، ويدل دلالة واضحة على مبلغ الخوف الذى أصاب المسلمين، حتى زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، وذهبت الظنون بهم كل مذهب؛ ﴿هنالك ابْتُلِىَ المؤمنون وزُلْزِلوا زلزالا شديدًا﴾.

كان غدرًا وخيانة معًا

على أن هذا الغدر الذى أوشك أن يكون فيه فناء دولة الإسلام، لم يكن له من سبب يدفع إليه إلا الحفيظة الكامنة فى نفوس اليهود على المسلمين؛ فقد كان المسلمون مقيمين على الوفاء والصدق فى عهدهم لبنى قريظة، حتى لقد كان هذا الوفاء والصدق هو الحجة البالغة التى حاول كعب بن أسد أن يحتج بها على حيى بن أخطب، وهو يراوده على نقض العهد مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إذ يقول له: «ويحك ياحيى، دعنى فلست بفاعل ما تدعونى إليه، فإنى لم أر من محمد إلا وفاء وصدقًا»! فلو أنه كان هناك من جانب المسلمين سبب يدعو بنى قريظة إلى هذا الغدر، لكان لهم شيء من

العذر فيما فعلوا، فكيف وهو الغدر الذى يجزى على الصدق والوفاء..؟ وكيف وهو الغدر الذى كان فيه القضاء على دولة بأكملها، وعلى دين الحق الذى أرسل الله به خاتم النبيين ليظهره على الدين كله..؟ وكيف وقد كان العهد بينهم وبين رسول الله ﷺ يقضى عليهم أن يدافعوا مع المسلمين عن مدينتهم، لا أن يخونوهم ويَغدِروا بهمْ فى أصعب الظروف وأشدها حرجًا..؟

الحق أن عمل بنى قريظة هذا لم يكن نقضًا لعهودهم وحسب، بل كان غدرًا وخيانة فى وقت معًا؛ حتى لقد استنكره رجال من رجالهم وهم يتحاورون فيما جاءهم به حيى ابن أخطب، فقالوا: «إذا لم تنصروا محمدًا فدعوه وعدوَّه». ثم هو فوق ذلك غدر دنىء وخيانة سافلة، لأنه طعن من الخلف لمن أدار إليك ظهره وهو واثق بك، مطمئن إلى أمانتك ومروءتك.

الجزاء الطبيعى

ماذا يكون جزاء الذين يغدرون هذا الغدر فى عرف القانون الدولى؟ وماذا يكون جزاؤهم فى عرف الدين والحق والعدالة المطلقة؟.. أيكون من الظلم أن يُوقَعَ بهم جزاءٌ مثل ما فعلوا، وأنْ يُصنَع بهم ما كانوا يريدون أن يصنعوا بغيرهم؟ لا شك

أن هذا جزاء طبيعى تقره الأديان كلها، وتقره قوانين الحرب قديمها وحديثها، ويقره منطق الحق والعدل والمروءة. فهل على المسلمين من حرج إذا هم حاصروا هؤلاء الغادرين حتى أسلموا لهم، ثم أبادوهم كما كانوا يريدون أن يبيدوهم؟ وهل كان من الممكن أن يأمن المسلمون جانب اليهود بعد ذلك، وأن يتركوهم جاثمين إلى جوارهم يطلعون على أسرارهم ويذيعونها بين أعدائهم؟ وهل كان من الحزم أن يخرجوهم كما أخرجوا بنى النضير من قبل، فيذهبوا فى الأرض طلقاء أحرارًا، يؤلبون عليهم القبائل ويحزّبون الأحزاب، ويجمعون لهم الجموع ليغزوهم فى عقر دارهم، كما فعل بنو النضير فى غزوة الخندق، وهى الغزوة التى أوشكت أن تعصف بالإسلام وأهله، والتى لم ينجُ المسلمون منها إلا بمعجزة؟

لقد كان من الطبيعى جدًّا أن يصفى المسلمون حسابهم مع أولئك الخونة الغادرين، وأن يكيلوا لهم بنفس الكيل الذى أرادوا أن يكيلوا به لهم. «والحق - كما يقول المؤرخ إميل دومنغم - أنه كان من الصعب ألا يصفى المسلمون حسابهم مع بنى قريظة اليهود، الذين انحازوا إلى العدو أيام غزوة الأحزاب»[1].

---

(١) حياة محمد - ترجمة الأستاذ عادل زعيتر.

حصار بنى قريظة

من أجل هذا بادر رسول الله ﷺ بمحاصرة بنى قريظة، غداةَ انكشاف الأحزاب عن المدينة، «ورأى أن مباغتتهم قبل أن يستكملوا عدتهم ويقووا حصونهم هى الواجب الأول»[1]؛ فما كاد يصلى الظهر من يومه ذاك حتى بعث بلالا ينادى فى الناس: «من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة».. فأخذ المسلمون يلبسون سلاحهم ويتوافدون سراعًا على حصون بنى قريظة؛ فمنهم من أدرك صلاة العصر فى بنى قريظة، ومنهم من أدركته فى الطريق فصلاها حيث أدركته، ومنهم من أخذ بظاهر الأمر ففوّت الفريضة عن وقتها، وأبى إلا أن يصليها حيث أمر الرسول أن تصلى. وعلى كل فقد كان همّ كل فريق أن يبادر إلى تلبية النداء ما استطاع، فلم تأت العشاء الآخرة حتى كان المسلمون جميعًا قد اجتمعوا عند بنى قريظة بكامل عددهم وعدتهم : ثلاثة آلاف راجل وستة وثلاثون فارسًا.

وكان رسول الله ﷺ قد دفع اللواء إلى على بن أبى طالب، وقدمه بين يديه إلى بنى قريظة فى نفر من المهاجرين والأنصار،

---

(١) فقه السير.

فاستقبلهم يهودُ يشتُمون رسـول الله ﷺ وأزواجـه؛ فسكت المسلمون وقالوا: «السيف بيننا وبينكم». ثم ركب صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه فأدركوا مَن هنالك من المسلمين. فلما رأى بنو قريظة رسـول الله تحصنوا بحصونهم؛ فحاصرهم رسول الله ﷺ والمسلمون خمسًا وعشرين ليلة، حتى جَهَدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ أن يخرجوا بنسائهم وأبنائهم وما حملت الإبل من أموالهم كما خرجت بنو النضير، فأبى عليهم ذلك؛ فأرسلوا إليه أن يخرجوا بنسائهم وأبنائهم بلا مال ولا سلاح، فأبى صلى الله عليه وسلم إلا أن ينزلوا على حكمه.

فأشار عليهم زعيمهم كعب بن أسد أن يدخلوا فى الإسلام، وذكّرهم بما عندهم من العلم بنبوة محمد، فلم يقبلوا رأيه، فأشار عليهم أن يقتلوا أبناءهم ونساءهم، ثم يخرجوا فيقاتلوا حتى يقتلوا أو يظفروا، فأبوا ذلك، فأشار عليهم أن يخرجوا ليلة السبت والمسلمون آمنون فيُبيتوهم[1]، فقالوا: «لا نُحِلُّ السبت» واختلفوا وندموا على ما صنعوا.

---

(١) فيبيتوهم: يأخذوهم على غرة.

إشارة أبي لبابة

فلما اشتد عليهم الحصار أرسلوا إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن ابعث إلينا أبا لُبابة لنستشيره فى أمرنا. فأرسله إليهم - وأبو لبابة هو رفاعة بن المنذر الأنصارى الأوسى، وكان مناصحًا لبنى قريظة، وكان ماله وعياله فيهم.. فلما رأوه قام إليه الرجال وأجهش النساء والأطفال بالبكاء، فرَقَّ لهم أبو لبابة.. وأحاط به بنو قريظة يسألونه: «ماذا ترى يا أبا لوبابة؟ إن محمدًا قد أبى إلا ننزل على حكمه».. فأشار أبو لبابة إلى حلقه وقال: «فانزلوا»! يعنى: أنه الذبح إن فعلتم.

وأدرك أبو لبابة أنه بهذه الإشارة قد أفصح عن سر ما كان ينبغى أن يذاع لعدو، وأنه بذلك قد خان الله ورسوله؛ فلم يستطع أن يواجه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وانطلق على وجهه حتى أتى المسجد، فارتبط إلى عمود فيه بسلسلة ثقيلة، وأقسم لا يذوق طعامًا ولا شرابًا حتى يموت أو يتوب الله عليه مما صنع؛ وعاهد الله ألا يطأ بنى قريظة أبدًا، وألا يُرَى فى بلد خان الله ورسوله فيه.. فلما بلغ رسول الله خبره قال صلى الله عليه وسلم: «أما إنه لو جاء لاستغفرت له؛ فأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذى يطلقه حتى يتوب الله عليه».

obeikandi.com

ومكث أبو لبابة ست ليـال لا يـذوق طعــامًا ولا شرابًــا. وكانت امرأته تأتيه فى كل وقت صـلاة فتحلـه حـتى يصلى، ثم يعود فتربطه بالجذع، حتى خر مغشيًا عليه، ثم أنـزل الله تـوبته على النبيّ صلى الله عليه وسلم، فى قـوله تعـالى: ﴿وآخـرُونَ اعترفوا بذنوبهم خَلَطُوا عَمَـلا صـالحاً وآخـرَ سـيئًا عَسى الله أن يتوبَ عليهم إن الله غفور رحيم﴾[1]. فلما تاب الله على أبى لبابة أبى أن يَحُله أحد غـير رسـول الله، صلى الله عليـه وسـلم. فلما حله قال: "يا رسول الله إن من تمام توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب، وأن انخلع من مـالى.. !" فقـال صلى الله عليه وسلم: «يُجزِيك الثلث أن تتصدق به».

شفاعة الأوس فى بنى قريظة

هذا ما كان من أمر أبى لبابة. أما مـا كان مـن أمـر بـنى قريظة فإنهم نزلوا على حكم رسول الله، صلى الله عليه وسـلم؛ فأمر برجالهم فكتفوا بالحبال ونُحوا ناحية. وأخرج النساء والـذرية فجُعلوا فى ناحية أخرى.. فمشى رجـال الأوس إلى رسـول الله، صلى الله عليه وسلم، رجاء أن يعامل بنى قـريظة حلفـاء الأوس كما عامل بنى قينقاع حلفاء الخزرج، وأن يقبـل فيهـم شـفاعتهم

(١)سورة التوبة الآية ١٠٢.

كما قبل شفاعة ابن أبى فى بنى قينقاع. فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «ألا ترضون يا معشر الأوس أن أجعل بينى وبين حلفائكم رجلا منكم؟ قالوا: "بلى". قال: «فقولوا لهم فليختاروا من شاءوا».. فاختار اليهود سعد بن معاذ سيد الأوس.

وكان سعد بن معاذ جريحًا من السهم الذى أصيب به فى الخندق، وكان يعالج فى خيمة امرأة يقال لها «رُفَيْدة»؛ وهى امرأة كانت لها خيمة فى المسجد تداوى فيها الجرحى من الصحابة، وكان رسول الله ﷺ قد طلب إلى قوم سعد أن يجعلوه فى خيمة رفيدة، حتى يكون إلى جواره فيعوده من قريب. فلما جعل صلى الله عليه وسلم الحكْم إلى سعد بن معاذ، أتاه قومه فحملوه على حمار، وجعلوا وهم مقبلون به فى الطريق يقولون له: "يا أبا عمرو، أحسن فى مَوَاليك؛ فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك أمرهم لتحسن فيهم؛ فقد رأيت ما صنع ابن أبى فى حلفائه".. وألحوا فى ذلك وأكثروا، وهو ساكت لا يجيبهم بشىء. فلما أكثروا عليه قال: "لقد آن لسعد ألَّا تأخذه فى الله لَوْمَةُ لائم"!

حكومة سعد بن معاذ

فلما انتهى سعد إلى مجلس الرسول ﷺ قال لأصحابه: قوموا إلى سيدكم.. فقاموا إليه صفين يحييه كل رجل منهم، حتى انتهى إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم. فقال له: «احكم فيهم يا سعد». فقال: "الله ورسوله أحق بالحكم". قال: «قد أمرك الله أن تحكم فيهم». فالتفت سعد إلى ناحية المسلمين فقال: "عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم بما حكمت"؟ قالوا: "نعم". قال: "وعلى من ههنا"؟ - وأشار إلى الناحية التى فيها رسول الله وهو خافض الطرف، إجلالا لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، - فقال رسول الله: «نعم». ثم قال سعد لبنى قريظة: "أترضون بحكمى"؟ قالوا: "نعم".. فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه أن الحكم ما حكم به. ثم قال: "فإنى أحكم أن تُقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتُسْبَى الذرارى والنساء".. فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سَموات»..

مذبحة بنى قريظة

ثم أمر رسول الله ﷺ بالأسرى فسيقوا إلى المدينة ووضعوا

فى دار أسامة بن زيد، وبالنساء والذرارى فوضعوا فى دار كيسة بنت الحارث؛ وأمر بالسلاح والأثاث والمتاع فحُمل، وبالإبل والغنم فتركت هناك ترعى الشجر؛ ثم أمر بأحمال التمر فنثرت على بنى قريظة، فباتوا يكدمونها[1] كدم الحمر.. وغدا رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة فخندق فيها خنادق. ثم دعا برجال بنى قريظة، فكانوا يُخرَجون إليه أرسالا[2]، فتُضرَب أعناقهم ويطرحون فى تلك الخنادق.

وكان حيى بن أخطب قد دخل مع بنى قريظة فى حصونهم بعد جلاء الأحزاب، وفاء بعهده مع كعب بن أسد. فلما جىء به ليقتل، نظر إليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقال: «ألم يمكّن الله منك يا عدو الله»؟ قال: "بلى، أبى الله إلا تمكينك منى! والله ما لمت نفسى فى عداوتك، ولكنه من يَخْذُلِ الله يُخذَل".. ثم أقبل على الناس فقال: "أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقَدَر، ومَلْحَمَة كتبها الله على بنى إسرائيل"!.. ثم جلس فضربت عنقه.

---

(١) يكدمونها: يتناولونها بأفواههم من الأرض.

(٢) أرسالا: جماعة بعد جماعة.

نجاة من أسلم منهم

وأسلم من بنى قريظة ثلاثة رجال، فأمنهم رسول الله ﷺ على أنفسهم وأهليهم وأموالهم. وكان عمرو بن سعد من رجالهم على غير رأى بنى قريظة فى نقض العهد مع المسلمين، فأطلقوه؛ فذهب إلى حيث لا يعلم بمكانه أحد؛ فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «ذاك رجل نجاه الله بوفائه». وكان رفاعة بن السموءل قد استجار بأم المنذر الأنصارية، فاستوهبته رسولَ الله، صلى الله عليه وسلم، فوهبه لها، فأسلم. وأراد ثابت بن قيس الأنصارى أن يُجزِى الزبير بن باطا من رجال بنى قريظة على معروف كان له عنده، فاستوهبه رسول الله فوهبه له، ووهب له معه أهله وماله؛ ولكن الزبير أبى إلا أن يلحق بأحبته من اليهود، فضربت عنقه.

وكان صلى الله عليه وسلم يرفُق بأسراهم ويوصى بهم خيرًا، فقد رأى أسيرًا منهم جاء به حارسه وقد ضربه على وجهه فأرْعَف أنفه. فقال له: «لم صنعت به هذا؟ أما كان السيف كفاية»؟ ثم قال: «أحسنوا إسارهم وقيِّلوهم واسقوهم.. لا تجمعوا عليهم حر الشمس وحر السلاح». وكان يومًا صائفًا فقيلوهم وسقَوْهم وأطعموهم؛ فلما أبردوا راح صلى الله عليه

وسلم فقتل من بقى منهم.. وتمادى القتل فى رجال بنى قريظة إلى الليل حتى قتلوا جميعًا؛ وكانوا بين الستمائة والسبعمائة وقيل بين الثمانمائة والتسعمائة، وقيل أربعمائة فقط[1]. ولم يقتل من نسائهم غير امرأة واحدة. وكانت ألقت الرحى على بعض المسلمين وهم يستظلون بظل حصن من حصونهم، فقَتلت خَلاد ابن سُوَيد، رضى الله عنه.

تقسيم الأموال والسبايا

ثم إن رسول الله ﷺ قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين، وبعث ببعض السبايا إلى الشام ونجد، فاشترى بها سلاحًا وخيلا للمسلمين. وقد نهى صلى الله عليه وسلم أن يفرّق فى القَسْم والبيع بين النساء والذرية، وقال: «لا يفرق بين الأم وولدها حتى يبلغوا».. وكانت ريحانة بنت عمرو من نصيبه، صلى الله عليه وسلم، فكانت عنده حتى توفى عنها وهى فى مِلْكه.

---

(١) ولعل السبب فى هذا الاختلاف أن حيى بن أخطب دخل مع بنى قريظة بمن معه من رجال بنى النضير كما وعد كعبَ بن أسد ـ فى رواية القرطبى ـ فلعل هذه الزيادة كانت من يهود بنى النضير. وإن كان أحد من المؤرخين لم يذكر ذلك لا تصريحًا ولا تلميحًا.

الجزاء من جنس العمل

هذه قصة بني قريظة كما رواها التاريخ؛ فهل فيها ما يعاب على رسول الله، صلى الله عليه وسلم؟ لقد كانت مذبحة عظيمة حقًّا، قُضي فيها على قبيلة كاملة من اليهود؛ ولكن هذه المذبحة نفسها كادت تكون من نصيب المسلمين لو تم ما أرادت الأحزاب من القضاء على محمد وأصحابه فهو الجزاء من جنس العمل إذن، وهو الجزاء الذى يحكم به الدين، ويحكم به العقل، ويحكم به القانون قديمه وحديثه.

يقول المؤرخ بودلى: «والحقيقة أنه لو فكر يهود المدينة فى الأمر لوجدوا أن محمدًا ما فعل شيئًا ـ أكثر أو أقل ـ من تنفيذ التعليمات التى وضعها قومهم فى الإصحاح العشرين من تثنية سفر الاشتراع: «حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها للصلح؛ فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك؛ وإن لم تسالمك بل عملت معك حربًا فحاصرها. وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف؛ وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة ـ كل غنيمتها ـ فتغتنمها لنفسك"».

جناية حيى بن أخطب

ويقول الدكتور هيكل: "وفى رأينا أن دم بنى قريظة معلق فى عنق حيى بن أخطب وإن كان قد قتل معهم؛ فهو قد حنَثَ فى العهد الذى عاهده قومه من بنى النضير، حين أجلاهم محمد ﷺ عن المدينة ولم يقتل منهم بعد النزول على حكمه أحدًا؛ وهو بتأليبه قريشًا وغطفان، وتحزيبه العرب كلها لقتال محمد، قد جسّم العداوة بين اليهود والمسلمين، وجعل هؤلاء يعتقدون أن بنى إسرائيل لا تطيب نفوسهم إلا باستئصال محمد وأصحابه؛ وهو الذى حمل بنى قريظة من بعد ذلك على نقض عهدها والخروج من حيادها، ولو أنها بقيت عليه لما أصابها من الشر شيء؛ وهو الذى دخل حصن بنى قريظة بعد ارتحال الأحزاب ودعاهم إلى مقاتلة المسلمين والدفاع عن أنفسهم، ولو أنهم نزلوا على حكم محمد منذ اليوم الأول واعترفوا بخطئهم فى نقض عهدهم لما أهدِرَت دماؤهم وضربت أعناقهم، ولكن العداوة بلغت من التأصل فى نفس حيى - وانتقلت منه إلى نفوس بنى قريظة - حدًّا جعل سعد بن معاذ نفسه - وهو حليفهم - يؤمن بأنهم إن أبقى على حياتهم لم تهدأ لهم نفس حتى يؤلبوا الأحزاب من جديد، وحتى يجمعوا

العرب لقتال المسلمين، وحتى يقتلوهم عن آخرهم إن ظفروا بهم. فالحكم الذى أصدره ـ على قسوته وشدته ـ إنما كان متأثرًا فيه بالدفاع عن النفس، واعتباره بقاء اليهود أو زوالهم مسألة حياة أو موت بالنسبة للمسلمين".

وهذا الذى يراه الدكتور هيكل من تحميل وزر هذه المذبحة على حيى بنى أخطب، هو ما رآه سلام بن مِشْكَم من رجال بنى النضير حين بلغه خبر بنى قريظة فقال: "هذا كله عمل حيى بن أخطب.. لا قامت يهودية بالحجاز أبدًا"! وهو ما تنبأ به كعب بن أسد وهو يحاور حيى بن أخطب إذ يقول له ـ حين جاء إليه يدق باب حصنه ويغُرُّه بما جمع له من رجال قريش وغطفان ـ: «ويحك يا حيى! إنك امرؤ مشئوم. جئتنى ـ والله ـ بذل الدهر، وبجهام لا غيث فيه".

نتائج الغزوة

ومهما يكن من شىء فقد قضت هذه الغزوة القضاء التام على بطون اليهود فى يثرب؛ وفَقَد المنافقون فيها أنصارهم، فخَفَتَت أصواتهم، وانكسرت شوكتهم، ولم تقم لهم بعدها قائمة؛ ومكن الله للمسلمين فى المدينة بعد هذه الغزوة، وأخذت أمورهم تسير فى طريق أقل تعثرًا وأكثر أمنًا؛ وأخذت الدعوة

الإسلامية تتَّسِم بطَابع جديد، هو طابع القوة والغنى والاعتزاز، لا طابع الضعف والفقر والاستكانة؛ فقد غنم المسلمون كل ما كان فى ديار بنى قريظة من سلاح وأثاث ومتاع، فوُجد فيها ألف وخمسمائة سيف، وثلثمائة درع، وألفا رمح وألف وخمسمائة تُرس وجَحَفَة[1]؛ ووجدوا جمالا وماشية كثيرة، ووَرِثوا أرضهم وديارهم وأموالهم. وكان غنم المسلمين عظيما من الناحية المادية ومن الناحية المعنوية، بعد هزيمة الأحزاب، وبعد هزيمة بنى قريظة.

وفى هزيمة الأحزاب يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكُروا نِعمَةَ الله عليكم إذ جاءتْكم جُنودٌ فأرسلْنا عليهم ريحاً وجنودًا لم تَرَوْها وكان الله بما تعملون بصيرًا﴾.. ثم يصف - سبحانه - ما كان من حال المؤمنين وحال المنافقين عند هجمة الأحزاب، وما كان من جلاء الأحزاب بعد أن بلغ الكرب بالمسلمين غايته وبلغت الشدة منتهاها، حتى جاء نصر الله: ﴿وردَّ الله الذين كفَروا بِغَيْظِهم لم ينالُوا خيرًا وكفَى الله المؤمنين القتال وكان الله قَويًّا عزيزًا﴾.

وفى هزيمة بنى قريظة يقول سبحانه: ﴿وأنْزَلَ الذين

(١) الجحفة: الترس من الجلد.

ظَاهَروهم من أهل الكتاب مـن صَيَاصيهم وقَـذف فى قلــوبهم الرُّعبَ فريقًا تَقتُلون وتَاسِرون فريقًا * وأوْرَثَكم أرْضَهم وديـارَهم وأموالهم وأرضًا لم تَطئُوها وكان اللهُ على كل شيء قديرًا﴾[1].

---

(١) سورة الأحزاب : الآيات ٩ - ٢٧.